

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ٣٦﴾ 10/5/1442 هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْيَوْمَ الْآخِرَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ حَيْثُ يَقَعُ فِيهِ الْعَرْضُ وَالْحِسَابُ وَالْبَعْثُ وَالصِّرَاطُ، وَالْمِيزَانُ وَالْحَوْضُ، وَالْأَهْوَالُ فِي النَّارِ، وَيَقَعُ فِي هَذَا الْيَوْمِ تَغْيِيرُ هَائِلٍ، فَالسَّمَاءُ تَشَقُّقُ، وَالْكَوَاكِبُ تَنْدَثِرُ، وَالْبِحَارُ تُفَجَّرُ، وَتُسَجَّرُ نَارًا تَأَجَّجُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ٣﴾، هَذِهِ السَّمَاءُ الْقَوِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، هَذِهِ السَّبْعُ الشَّدَادُ تَشَقَّقُ وَتَتَصَدَّعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦﴾، وَأَمَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَمَعَ عَظْمِهِمَا، إِلَّا أَنَّهُ يُخَسَفُ الْقَمَرُ، وَتُكْوَرُ الشَّمْسُ، ثُمَّ يُقْدَفَانِ فِي النَّارِ؛ لِيَرَى مَنْ عَبْدَهُمَا أَنَّهُمَا مُسَخَّرَانِ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ تَبْكِيتًا لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ٥ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٦ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٧ وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ ٨ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٩ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ١٠﴾، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ فِي «مُسْنَدَيْهِمَا»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ».

أَخْرَجَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «ذَيْلِ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الدَّانَاجِ قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا سَلَمَةَ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُسَيْدٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي: مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ - قَالَ: وَجَاءَ الْحَسَنُ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَحَدَّثَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَا ذَنْبُهُمَا؟ فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَ الْحَسَنُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِمَا فِي النَّارِ تَعْدِيْبُهُمَا بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ تَبْكِيتٌ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُهُمَا فِي الدُّنْيَا؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَهُمَا كَانَتْ بَاطِلًا. وَقِيلَ: إِنَّهُمَا خُلِقَا مِنَ النَّارِ، فَأَعِيدَا فِيهَا. اهـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَجْمَعُ النَّاسَ فِي الْمَحْشَرِ، وَتَذْنُو الشَّمْسُ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»، قَالَ: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: هُوَ الْعَرَقُ، شُبَّهَ بِرَشْحِ الْإِنَاءِ لِكَوْنِهِ يَخْرُجُ مِنَ الْبَدَنِ شَيْئًا
فَشِيئًا، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْعَرَقَ يَحْضُلُ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ نَفْسِهِ...، وَقَالَ عِيَاضٌ: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ
عَرَقَ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ بِقَدْرِ خَوْفِهِ مِمَّا يُشَاهِدُهُ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ عَرَقَهُ وَعَرَقَ غَيْرِهِ، فَيَشَدُّ
عَلَى بَعْضٍ وَيُخَفِّفُ عَلَى بَعْضٍ، وَهَذَا كُلُّهُ بِتَزَاوُلِ النَّاسِ، وَانْضِمَامِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى صَارَ
الْعَرَقُ يَجْرِي سَائِحًا فِي وَجْهِ الْأَرْضِ، كَالْمَاءِ فِي الْوَادِي بَعْدَ أَنْ شَرِبَتْ مِنْهُ الْأَرْضُ، وَغَاصَ فِيهَا
سَبْعِينَ ذِرَاعًا. اهـ

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً،
شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ ﷻ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ
إِلَى الْكُرْسِيِّ...».

وَمِنْ أَسْبَابِ هَذَا الْعَرَقِ الْكَثِيرِ يَا عِبَادَ اللَّهِ: شِدَّةُ الزَّحَامِ: فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَمَيْهِ، وَهَذَا يُسَبِّبُ
الْعَرَقَ، وَكَذَا ذُنُوبُ الشَّمْسِ بِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا مِنْ رُؤُوسِ الْعِبَادِ، وَكَذَا مَجِيءُ جَهَنَّمَ وَلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
زِمَامٍ، فَيَا لِسَعَتِهَا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ»، وَكَذَا الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ الَّذِي أَصَابَ الْعِبَادَ، فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا خَافَ وَفَزِعَ عَرَقَ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَلْطَفُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهَنَّاكَ أَنْتَ
فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، وَهَنَّاكَ أَنْتَ تُظَلِّلُ عَلَيْهِمْ قِرَاءَتُهُمْ لِسُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي
أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا
لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ
كَانَهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَانَهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا».

وَمَعَ ذَلِكَ يَكُونُ هَذَا لِلْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ
 الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ».

وَأَمَّا الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يُضْرَبُ بِعِظْمِهَا وَتَبَاتِهَا الْأَمْثَالُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَقَدْ صَارَتْ فِي ذَلِكَ
 الْيَوْمِ مَهِيلاً، وَصَارَتْ مِثْلَ الْعِهْنِ، وَهُوَ الصُّوفُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾.

وَأَمَّا الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَتَكُونُ فِي قَبْضَةِ الْجَبَّارِ ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ
 الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟».

وَمِنَ الْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَجِيءُ جَهَنَّمَ فِي مَنْظَرٍ فَطِيعٍ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ
 أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا». فَجَهَنَّمَ لَمْ تَنْتَظِرْ مَجِيئَهُمْ إِلَيْهَا، بَلْ جِيءَ بِهَا تَجْرُهَا الْمَلَائِكَةُ الْغِلَاطُ الشَّدَادُ،
 فَسَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ عَلَى كُلِّ زِمَامٍ (أَيُّ: أَرْبَعَةٌ مِليَارٍ وَتِسْعَمِائَةٌ مِليونَ مَلِكٍ) يَجْرُونَهَا، فَيَا لِسِعَتِهَا،
 وَمَعَ هَذِهِ السَّعَةِ فَهِيَ عَمِيقَةٌ غَايَةَ الْعُمُقِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً - أَيُّ: سَقَطَةٌ -، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
 «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَشُقُّ عَلَيْنَا الْحَدِيثُ عَنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ فِي خُطْبَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَعَلَّنَا نُكْمِلُ ذَلِكَ فِي
 خُطْبٍ أُخْرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ آثَارًا عَظِيمَةً فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ، مِنْهَا:

الأوَّلُ: اسْتِشْعَارُ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ؛ فَيَحْرِصُ الْعَبْدُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِهِ كُلِّهَا لِأَنَّهُ
 سَيَسْأَلُ عَنْهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ .

الثَّانِي: الْمُدَاوَمَةُ عَلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَالتَّزَوُّدُ مِنْهَا. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ .

الثَّالِثُ: الْبَذْلُ وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» .

الرَّابِعُ: الصَّبْرُ عَلَى الْإِبْتِلَاءَاتِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ، وَالْيَقِينُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَعُوِّضُ الْمُبْتَلَى خَيْرًا إِنْ صَبَرَ فِي الْآخِرَةِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» . يُرِيدُ: عَيْنِيهِ .

الْخَامِسُ: الْإِسْتِعْدَادُ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ، وَمَا تَنْتَهِي بِهِ حَالُ النَّاسِ مِنْ خُلُودٍ فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ .

السَّادِسُ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. أَخْرَجَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ»، عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: بَكَى الْحَسَنُ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي غَدًا فِي النَّارِ وَلَا يُبَالِي .

السَّابِعُ: الزُّهُدُ فِي الدُّنْيَا. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» .